مشكلة التعريف عند افلاطون

سهيلة علي جواد
مدرسة مساعدة
كلية الاداب ـ جامعة بغداد

أتناول بالبحث ثلاثة مفاهيم أساسية في فكر أفلاطون الفلسفي هي : العدالة ، والعلم ، والحب لانها تمثل مرتكزات مهمة في فلسفة أفلاطون الاجتماعية والمعرفية والاخلاقية وقد دفعني حب الاستقصاء الى اختيار هذه المفاهيم للاسباب التالية :

أولا ـ العدالة

مما يلفت نظر قاريء محاورات أفلاطون وبخاصة السياسية منها اهتمامه بالعدالة حيث يضع لها معنيين ، أخلاقي وسياسي ، فهو اذ يربطها بالفضيلة فقد جعل لها معنى أخلاقياً ، وهو إذ يربطها بدولة المدينة فقد جعل لها معنى سياسيا . يضاف الى ذلك ان الروح السياسية هي الغالبة على فكر أفلاطون وانها تكمن وراء آرائه الاخلاقية في العدالة وهذه بدورها متأثرة بمواقفه السياسية . فبحثه في الاخلاق هو بحث في الخير الاسمى والسعادة ولا يتم الوصول الى السعادة والخير الا بتحقيق العدالة بالنسبة للانسان وفي الدولة ، ومن هنا جاءت أهمية هذا المفهوم وكان اختياري له .

ثانيا ـ العلم

العلم في رأي افلاطون مرحلة تسبق الفلسفة ، والرياضيات من جملة العلوم تعبر عن مقدرة العقل على التجريد التي تتصل بنظرية المثل الافلاطونية وعن طريق العلم يمكننا التعرف على نظرية المعرفة عنده حيث يبحثها في

محاورات عدة مثل مينون وفيدون والجمهورية وثياتيتوس • لذا كان من الضروري اختيار هذا المفهوم لما له من تأثير قوي في كل من جاء بعده واعتنق النهج العقلي في المعرفة •

ثالثا ـ الحب

الحب هو الجزء التكميلي لفلسفة أفلاطون ، فهو يمتد الى جميع الانشطة الانسانية السامية ، وهو الرابطة بين الانسان وعالم المثل بل هو بحث عن الحقيقة وعن الخير وعن الجمال •

وللحب الافلاطوني منزلة كبيرة في النفوس ، ذلك الحب السامي الذي يربط بين نفسين برباط من العلاقات الروحية السامية ••• فمن الضروري ان نتحرى عن هذا المفهوم لنوضح جميع جوانبه •

ولأجل فهم فلسفة افلاطون في هذه المفاهيم لابد لنا من دراستها على ضوء التطورات السياسية والاجتماعية والعلمية التي ظهرت قبل عصر افلاطون وفي أيامه •

كانت أثينا في القرن الخامس قبل الميلاد متفوقة على سائر بلاد اليونان في الناحية البحرية وقد أتاح انتصارها على الفرس في الحرب التي دارت بينهما في القرن ذاته ميزة كبرى اذ تولت الزعامة اليونانية في القارة الاسيوية وحررت الجزر التي كان الفرس قد احتلوها فكان لها شرف الرقابة على الجزر الايونية • والى جانب ذلك فقد تفوقت ايضا في النواحي الفنية والثقافية عندما كانت تحت ظل بركليس ، الا انه سرعان ما تزعزعت القيم الاخلاقية التقليدية والعقائد الموروثة فيها بازدياد ثروة البلاد [1] •

---

(١) برتراند رسل : تاريخ الفلسفة الغربية ، ترجمة زكي نجيب محمود ، ص ١٣٧ ، القاهرة ١٩٦٧

واذا كان التفوق البحري يعزى الى أثينا فان التفوق البري يعزى الى اسبرطة ، وبنشوب الحرب البلو بو نيزية وموت بركليس عام ٤٢٩ ق ٠ م عاشت أثينا في فترة ظلام من تاريخها ، كما ان ازدحام أثينا بالسكان نتيجة الحروب أدى الى تفشي الطاعون بين أبنائها هذا من جهة ومن جهة اخرى فان انتصار اسبرطة في الحرب جعلها تقيم حكومة اوليغاركيه في أثينا هي حكومة الطغاة الثلاثين الذين كان من بينهم تلاميذ لسقراط واقارب لافلاطون الا ان هذا الحكم لم يدم طويلا فبعد مضي عام من الزمن استطاع الشعب الاثيني ازالة هذا الحكم الارستقراطي واعادة الديمقراطية الى اثينا ٠٠ الا انها ديمقراطية ملؤها الحقد والكراهية اذ كانت تتحين الفرص لتنزل أقسى العقوبات باعدائها وكانت قمة هذا الحقد محاكمة سقراط وموته عام ٣٩٩ ق ٠ م [٢] ٠

يمكننا القول بان النظام السياسي في أثينا قائم على دعامتين اساسيتين هما الحرية واحترام القانون [٣] ٠ اذ كانت حرية بحث المسائل السياسية ومناقشتها هي المحور الذي يدور عليه تعاون المواطنين [٤] ٠ كما كان حب المعرفة المتأصل في صميم الشعب الاثيني جعله يعتقد بان تثبيت أفضل النظم واحسنها لا يتم الا بالمناقشة والجدل بين عديد من الناس ٠

ولم يقتصر الاهتمام بالسياسة على الفلاسفة فقط بل تعداه الى آخرين لا تشغلهم قضايا الفلسفة امثال هيرودوت في كتاب التاريخ كنموذج لتعلق الشعب الاثيني بالسياسة [٥] ٠ ومن الامور التي يعنى بها الاثيني ايضا هي دولة المدينة التي تقوم على فكرة التناسق والتناسب ، وقد امتدت هذه الفكرة

---

(٢) المصدر السابق : ص ١٣٨ ٠

(٣) جورج سباين : تطور الفكر السياسي ترجمة حسن جلال العروسي ، ص١٩ ، القاهرة ١٩٦٣

(٤) المصدر السابق : ص٢١ ٠

(٥) المصدر السابق : ص ٢٥ ٠

حتى شملت الاخلاق والجمال . فيقول هرقليطس مثلا « ان الشمس لايمكن أن تتجاوز نظامها المرسوم فاذا فعلت فان الايرينيس خادمات العدالة ستكشف أمرها » يدلنا هذا على ان النظرة الى العالم الطبيعي نظرة تقوم على فكرة التناسق والتناسب (٦) .

وبظهور سقراط توحدت الافكار المتناثرة والآراء المتشتته في فلسفة محددة قائمة على الثبات والفضيلة والخضوع لقانون أعلى .

والى جانب سقراط ظهرت جماعة السوفسطائيين الذين آمنوا بالتغير والتجديد والتشكيك في القيم والمباديء القائمة ، وارجعوا مقياس الامور الى الانسان عند ما قال احد دعاتهم : « الانسان مقياس كل شيء » .

لماذا التعريف مشكلة ؟

الحوار لحل المسائل العامة اسلوب متبع في أثينا وبخاصة في عصر سقراط والسفسطائية ، فقد كان سقراط يتبادل الاحاديث مع شباب المدينة أثناء تجواله في الاسواق أو المحلات العامة ، يطرح موضوعات للمناقشة والجدل حباً في المعرفة .. بينما يتخذ السوفسطائيون موقفاً آخر اذ انهم يتناولون الموضوعات بالمناقشة والجدل لا حبا في المعرفة وانما حبا في الجدل.

وافلاطون تلميذ سقراط انتهج اسلوب الحوار ايضا الا انه لم يحاور متجولا انما كان يحاور كتابة ، فمحاوراته المكتوبة كانت على الاغلب على لسان سقراط يدافع فيها عن قيم اخلاقية عالية ومثل سامية من أجل حياة سعيدة في مدينة مثلى . والمحاورة تحوي موضوعات شتى ليس لها هدف معين احيانا ، بل كانت ترمي الى دفع المتحاورين الى التأمل العقلي والاستنباط الذاتي للمعرفة أو بالاحرى كان الحوار محفزا للمرء كي يقوم بالتفكير ويشحذ قواه العقلية ويبعث النشاط فيها لاستقصاء المعرفة . ونلحظ في المحاورة تركيزا ووضوحا احيانا يقابله استجواب صارم ونلمس اسلوبا ساخرا

---

(٦) المصدر السابق : ص ٢٩ .

في احيان اخرى • اما المحتوى فنجد فيه عناصر رياضية واخرى فنية وثالثه معرفية واخلاقية بالاضافة الى الاسطورة التي تلعب دورا كبيرا في بعض المحاورات •

والحوار الافلاطوني عبارة عن فيض من الاسئلة يطرحها افلاطون على لسان سقراط كأن تكون مثلا ما العدالة ؟ ما الفضيلة ؟ ما الشجاعة ؟ الى غير ذلك من الاسئلة التي تبعث على الحيرة احيانا وعلى الضيق احيانا اخرى • فالقاريء يجد نفسه ـ امام تشعب وتعدد الموضوعات في المحاورة الواحدة ـ حائرا مندهشا امام سيل متكرر من الاسئلة والاجوبة لا تشفي غليلا ولا ترضي فضولا ، وامام رجوع من قبل افلاطون الى نقطة البداية في كثير من محاوراته • والمحاورة كثيرا ما تنتهي الى نتيجة سلبية او لا تنتهي الى نتيجة اطلاقا وانما تنتهي الى اعتراف يقدمه سقراط يوضح به جهله ويؤكد ان ليس من شأنه اعطاء آراء ونظريات بل ان مهمته مقتصرة على توليد الافكار عند الآخرين •

فلو طالعنا احدى المحاورات الافلاطونية لوجدناها تبدأ بطلب لاعطاء تعريف لمفهوم ما ، او سؤال يطرح على مجموعة من الحضور •• فاذا وضع جواب أو تعريف فان سقراط لا يقتنع به للوهلة الاولى انما يحاول تفنيده وتمحيصه بوضع اسئلة اخرى لتظهر مدى صلاحية او عدم صلاحية هذه التعريفات او الاجابات ، وعندما تتهاوى جميعا يطرح تعريفا معدلا وافضل من السابق ، وتبدأ المناقشة من جديد ليكون مصيرها مصير الاولى السابقة ، ويعود مرة اخرى لوضع تعريف جديد والنتيجة غالبا ما يصاحبها الفشل ولا يصل الحوار الى تعريف كامل شامل في اغلب الاحيان •

سبب اخفاق افلاطون في التعريف

ميز أفلاطون بين المحسوسات والمعقولات •• فالاولى تتوصل اليها عن طريق الحواس وتعتمد على الجزئيات المتغيرة المتبدلة ، والمعرفة عن هذا الطريق باطلة ، اما الثانية فهي الادراكات العقلية الكلية التي تنصب على الانواع وهي

وحدها العلم الصحيح . وهذه المدركات العقلية او المعاني الكلية لها ما يقابلها في العالم الخارجي ومكانها في عالم المثل .

وبهذا القول وضع افلاطون حدا فاصلا بين المتغيرات في العالم الحسي وبين الثوابت في العالم العقلي عالم المثل . ولو تأملنا المثل لوجدنا في مرحلتها الاولى عند افلاطون افكار سقراطية عندما كانت تبحث في الامور الاخلاقية من فضيلة وعدل وشجاعة وهي في مرحلتها الثانية افكار فيثاغورية عندما اخذت تبحث في الامور الرياضية اي عندما انصب اهتمام افلاطون على الشكل الرياضي للمثال فاعتبره عددا .

والمثل لها وجود مستقل منعزل في عالم قائم بذاته فهي ليست مستخلصة من المحسوسات بل وليس لها اية صلة بهذا العالم سوى صلة المشاركة او المحاكاة ، فلها وجود حقيقي ثابت لا يتغير ، وعالم المثل موضوع العلم الحقيقي والمثل هي الحقيقة التي نبحث عنها وراء المحسوسات الجزئية .. فهي مفارقه ومتعاليه وثابته وما يقابلها في عالمنا هو ظلالها واشباحها وكل ما هو موجود في هذا العالم يوجد له مثال في عالم المثل .

اذن فما هو السبيل الذي اتخذه أفلاطون في التقريب بين هذين العالمين ؟

لجأ افلاطون الى العلم تارة والى الاسطورة تارة اخرى .. اتخذ الرياضيات مرة والحب مرة اخرى .. وتمسك بالحساب والعدد ليصل عن طريقهما الى الوجود الحقيقي معتقدا ان التفكير الرياضي المجرد يوصله الى ادراك عالم المثل . فيقول في الجمهورية :

« ينبغي على كل انسان ان يلم بعلم العدد والحساب لان لهذا العلم ميزات كثيرة فهو يستخدم في جميع الصناعات كما يستخدم في كل انواع المعرفة وجميع العمليات العقلية ، وبواسطته نستطيع التمييز بين الارقام ، فهو يوقظ قوة التفكير فينا ويقودنا الى الوجود الحقيقي .. لنترك جانبا الاشياء

التي لا تحفز العقل على التفكير والتي هي بعض موضوعات الحس ونلجأ الى العقل وقدرته على الحساب »[٧] .

وكانت محاولاته لحل مشكلة الصلة بين عالم المثل والعالم الحسي واضحة في عدة محاورات مثل بارمنيدس ، السوفسطائي ، فيلابوس ، طيماوس وثياتيتوس ، الا انه لم يتوصل الى حل لهذه المشكلة فقد بقي على اعتقاده بان الحقائق الثابتة يمثلها عالم المثل والمحسوسات ظلال لها .

نستخلص مما تقدم ان افلاطون عندما اقام هذا البناء الشامخ من المثل ، وجعله منعزلا عن عالمنا عجز عن الوصول الى رابطة تصل بين هذا العالم والعالم الحسي لذلك بان تردده بل وعجزه احيانا في وضع تعاريف ثابتة متكاملة واضحة .. فما يجري امامه متغير متبدل وفان لا يعبر عن الحقيقة الثابتة وهو يسعى الى قوانين عامة ثابتة مطلقة ، وهذا لا يمكن الوصول اليه في مثل هذا التعارض الواضح .

لذلك نجده في محاوراته ـ وهذا ما حاولنا تبيانه فيما سيأتي من موضوعات بحثناها في عدة محاورات ـ في حالة صراع بين الحس والعقل يهدم بالمعرفة الحسية ويمجد بالمعرفة العقلية لاتصالها بعالم المثل . فقوله بعالم المثل هو سبب تردده واخفاقه في وضع تعاريف متكاملة .. وهذا ما حدا بارسطو من بعده ان يعترض على نظرية المثل الافلاطونية فاستطاع ان يخرج من هذا المأزق الذي تعرض له افلاطون فجعل المعاني العقلية الكلية في الذهن بدلا من ان تكون في عالم المثل .

العدالة

من اشد المفاهيم ارتباطا بالواقع اليوناني مفهوم العدالة ولقد بحث أفلاطون هذا المفهوم في عدد من محاوراته منها القوانين والسياسة وابرزها

---

(٧) جمهورية افلاطون ـ ص٤٤٣ .

الجمهورية حيث تناول فيها موضوع العدالة بالتعريف [٨] . يبدأ سقراط الحديث بسؤال عن معنى العدالة .. أهو الصدق في القول والوفاء بالدين فحسب ؟[٩] .. الا ان هذا التعريف لا يعطي معنىً صحيحاً للعدالة .. اذن ما هو تعريف العدالة ؟

يشارك في الحوار شخص يدعى بوليمارخوس فيعطي تعريفا كان قد قالبه سيمونيدس : « ان من العدل اعطاء كل ذي حق حقه » [١٠]

وبعد حوار يدور بينهما يضع سقراط صيغة جديدة للتعريف السابق فيقول « اذن فسيمونيدس يعني بالعدالة تقديم الخير للاصدقاء والحاق الاذى بالاعداء » .

وفي أثناء الحوار تظهر الحاجة الى تبيان فائدة العدالة وقت السلم والى مجالات استخدامها فتصبح الصيغة بشكل اخر هو : « ان العدالة انما هي في خدمة الاصدقاء وايذاء الاعداء » [١١] .

ويضيف سقراط قائلا « يجدر بنا ان نضيف الى ذلك ان من العدل اسداء الخير لاصدقائنا ان كانوا اخيارا والحاق الاذى باعدائنا ان كانوا اشرارا [١٢] .

ونجدنا امام موقف جديد اذ ان الحاق الاذى بصديق أو بأي شخص اخر عمل لا يصدر عن شخص عادل وانما عن نقيضه .. فيرفض التعريف السابق ايضاً ويعود سقراط للتساؤل من جديد هل من تعريف اخر لديكم ؟

---

(٨) لم يكن هدف افلاطون في هذه المحاورة الوصول الى تعريف محدد مثل التعريفات الرياضية بل تجلت الغاية في جمع كل الاراء المتداولة في عصره عن العدالة واتخاذ سقراط لسانا لتحليل وتفنيد هذه الاراء انطلاقا من موقفه الفلسفي ورفض النظم السياسية التي شهدها من قبل وعاصرها .. ولعدم قناعته بانها تحقق العدالة المطلقة التي ينشدها في الدولة .

(٩) جمهورية افلاطون : ترجمة فؤاد زكريا ، ص١٨٢ القاهرة ١٩٧٤

(١٠) المصدر السابق : ص١٨٣ .

(١١) المصدر السابق : ص١٨٨ .

(١٢) المصدر السابق : ص١٨٩ .

فينبري ثراسيماخوس ليضع تعريفا للعدالة مفاده : « ان العدالة ليست الا صالح الاقوى » (١٣)

يقول سقراط : « فقد اتفقنا معا على ان العدالة هي صالح شيء ما وان كنت تذهب الى انها صالح الاقوى،اما هذه الاضافة فلست منها على يقين وعليّ ان امضي في تحليلها »(١٤) . وبعد حوار ونقاش يبين سقراط رغبته في الكف عن الكلام في هذا الموضوع ويدير الحوار ليطرح موضوعا جديدا حول الطب ومهمة الطبيب ثم القبطان ومهمته في قيادة البحارة مستخلصاً من ذلك كله انه ما من احد أياً كان نوع الحكم الذي يمارسه يستهدف صالحه الخاص من حيث هو حاكم وانما هو يستهدف دائما صالح رعيته او كمال فنه فالرعية غايته وهي وحدها التي يستهدفها في كل ما يقول ويفعل »(١٥) .

وببلوغ هذه المرحلة من النقاش ينهار تعريف ثراسيماخوس للعدالة .

وتبدأ مناقشة جديدة تنتهي بعرض سقراط الذي يتمثل في نهج طريق أكثر نفعا وذلك بأن يحاول كل من المتناقشين كسب موافقة الاخر بدلا من تعداد مزايا العدالة .. فيكون سؤالا جديدا حول الظلم والعدل وايهما فضيلة وايهما رذيلة ، ويخاطب سقراط ثراسيماخوس بقوله : « أظن انك تسمي العدالة فضيلة والظلم رذيلة »(١٦) . ولكن ثراسيماخوس لا يرضى على هذا القول بل هو يسمي العدالة بلاهة مبعثها الطيبة ويطلق على الظلم اسم الفطنة . وبعد حوار يخرج لنا معنى جديد للعادل والظالم فالاول كالحكيم والخيّر والثاني كالشرير والجاهل .. ويقول سقراط : « ولما كنا قد اتفقنا الان على ان العدالة فضيلة وحكمة والظلم رذيلة وجهل ، فقد انتقلت الى نقطة اخرى » (١٧) .

---

(١٣) المصدر السابق : ص١٩٤ .
(١٤) المصدر السابق : ص١٣٥ .
(١٥) المصدر السابق : ص٢٠٠
(١٦) المصدر السابق : ص٢٠٦
(١٧) المصدر السابق : ص٢١١

والسؤال الان « ما طبيعة العدالة بالقياس الى الظلم ؟ »[١٨] وهل ان حياة العادل أطيب وأسعد من حياة الظالم ؟ »[١٩] . ويتوصل بعد نقاش مع ثراسيماخوس الى ان الظلم يخلق الانشقاق والبغضاء والتشاحن بين الناس في حين ان العدل ينشر الود والاخاء بينهم والعدالة كمال النفس والظلم نقصها [٢٠] ، ومن المؤكد ان من يحيا حياة طيبة فهو راض سعيد اما من يحيا حياة سيئة فهو محروم من كل سعادة ، فالعادل سعيد والظالم شقي ولا يكون الظلم انفع من العدل »[٢١]

وينتهي الكتاب الاول من الجمهورية بعبارة لسقراط يوضح فيها عدم الثبات في التعريف وعدم الوصول الى نتيجة نهائية قائلا :«انني لم استمتع متعة كاملة غير ان الذنب في هذا راجع الي لا اليك ، وكما يلتهم النهم قطعة من كل لون من الطعام تقدم اليه على المائدة دون ان يكون قد اكتفى من اللون الذي سبقه فكذلك تنقلت من موضوع الى اخر دون ان اهتدى الى ما سعيت اليه في البداية الا وهو طبيعة العدالة . فقد انصرفت عن ذلك البحث وتحولت الى بحث مسألة ما اذا كانت العدالة فضيلة وحكمة ام رذيلة وحمقا وعندما برزت امامي مشكلة اخرى هي المقارنة بين العدل والظلم من حيث المنفعة لم استطع ان امنع نفسي من الانتقال اليها فكانت نتيجة المناقشة بأسرها انني ما زلت لا اعلم شيئا على الاطلاق ، اذ انني مادمت لا اعلم ما هي العدالة فانني لا اعلم بالاحرى ان كانت فضيلة ام لا ولا استطيع ان اجزم ان كان العادل سعيدا أم شقيا »[٢٢] .

---

(١٨) المصدر السابق : ص٢١١
(١٩) المصدر السابق : ص٢١٤
(٢٠) المصدر السابق : ص٢١٦
(٢١) المصدر السابق : ص٢١٧
(٢٢) المصدر السابق : ص٢١٧

وفي مستهل الكتاب الثاني من الجمهورية يكمل سقراط حديثه قائلا انه قد خيل اليه انه بهذه الكلمات قد وضع حدا للنقاش حول مفهوم العدالة ولكن اتضح له ان ذلك لم يكن النهاية في الموضوع انما البداية اذ يبدأ الحوار بين جلوكون وسقراط ـ والمحاولة هنا جادة ـ من اجل وضع مفهوم ثابت لافضلية العادل على الظالم • وفي هذه المحاولة تصنف الاشياء الخيرة الى ثلاث انواع منها ما يرغب فيه لذاته بغض النظر عن نتائجه كالملذات والمتع البريئة التي نطرب لها في وقتها ، ومنها ما تعد خيرة كالمعرفة والصحة فيرغب فيها لذاتها ولنتائجها ، وثالثة يرغب فيها لا لذاتها وانما لما ينشأ عنها من نتائج كالرياضة البدنية ورعاية المرضى • ويضع سقراط العدالة في ارفعها اي في تلك الاشياء الخيرة التي يطلبها المرء لذاتها ولنتائجها في الوقت نفسه ان شاء ان يكون سعيدا (٢٣) •

يتحدث جلوكون عن طبيعة العدالة واصلها مدافعا عن الرأي الشائع من ان حياة الظالم مهما قيل عنها فهي اهنأ من حياة العادل لو كان رأي الناس على حق ويعترف ان ذلك ليس رأيه (٢٤) • « فانني لم استمع الى احد يدافع عن سمو العدالة على الظلم دفاعا مقنعا»(٢٥) • انهم ليقولون انه وفقا للطبيعة تكون ممارسة الظلم خيرا ومعاناة الظلم شرا ولكنهم يؤكدون أن كفة الالم في الشر ترجح على كفة النفع في الخير،فيسمون ما يأمر به القانون امرا مشروعا عادلا وذلك هو اصل العدالة وماهيتها فهي حل وسط او توفيق بين خير الامور ، وهو انيقترف المرء الظلم دون انيعاقب،وشر الامور ، وهو أنيعاني، الظلم دون ان تتوافر لديه القدرة على الانتقام لنفسه • فهم لذلك يتحملون حيث هي خلق يمجده الناس لعجزهم عن ارتكاب الظلم • اذ ليس ثمة انسان

---

(٢٣) المصدر السابق : ص٢٢٠

(٢٤) المصدر السابق : ص٢٢١

(٢٥) المصدر السابق : ص٢٢١

جدير بهذا الاسم يقبل الخضوع لهذا الاتفاق لو كان في وسعه مقاومته ، ولو فعل ذلك لكان مخبولا[٢٦] .

وبعد حديث طويل لاديمانتوس عن العدل والظلم يصل الى ما يلي : « اننا لانجد من بين جميع الداعين الى العدالة منذ الابطال الغابرين الذين حفظت لنا اخبارهم وسيرهم حتى رجالنا المعاصرين من لا يحمل على الظلم او يطري العدالة الا وفي ذهنه ما يجلبانه من مغانم وتمجيد وتكريم »[٢٧] .

وفي هذه الحال يجد سقراط نفسه مضطرا الى المشاركة في الحوار بعد ان راى العدالة تذم الى هذه الدرجة فيتدخل في الموضوع ليكشف عن طبيعة العدل والظلم الحقيقية ويبين الفوائد التي يجلبها كل منهما . انه يكشف عن طريقة جديدة في البحث بادئا ببحث العدالة في الدولة باعتبارها الاطار الكبير منتقلا الى الفرد باعتباره الصورة المصغرة للدولة .. فالعدالة اذ توجد في الفرد بوصفها فضيلة له ، فانها توجد في الدولة ايضا . والدولة اكبر من الفرد فيسهل علينا اذن ادراك العدالة في الصورة الكبيرة ثم تبحث بعد ذلك في الفرد فيكون الانتقال من الاكبر الى الاصغر [٢٨] .

وعندما يبدأ سقراط بارساء أسس الدولة فانه يجد ان الاساس الحقيقي هو الحاجة [٢٩] .. اذ تنشأ الدولة عن عجز الفرد عن الاكتفاء بذاته وحاجته الى أشياء لا حصر لها ، ويتعدد الاشخاص بتعدد الاغراض والحاجات ومن اجتماع هؤلاء الشركاء الذين يساعد بعضهم بعضا في اقليم واحد تتكون الدولة وبالنظر لتباين طبائع الافراد ووجود فروق كامنه فيكون كل واحد صالحا لعمل معين كما يكون انتاج كل شيء اوفر وأسهل وأجود اذا ما ادى

---

(٢٦) المصدر السابق : ص٢٢٢

(٢٧) المصدر السابق : ص٢٢١

(٢٨) المصدر السابق : ص٢٣١

(٢٩) المصدر السابق : ص ٢٣٣

كل فرد شيئا واحدا هو الشيء الذي يصلح له بطبيعته في الوقت المناسب وترك جانبا كل ما عداه من الامور » (٣٠) .

ثم ينتقل الى موضوع المدينة الفاضلة فيتحدث عن تنظيمات الدولة والحراس وتعليمهم ، وبغير مبرر يدخل مشكلة نشأة العدالة والظلم في الدولة وعندئذ يتكلم جلوكون فيقول : « اعتقد ان بحث هذه المسألة يفيدنا في الوصول الى هدفنا » (٣١) .

وينتهي الكتاب الثاني وتعريف العدالة مازال معلقا لم يفرغ منه .

وفي الكتاب الرابع يحث سقراط كلا من اديمانتوس وبوليمارخوس ليبحثا معه فيم تكون العدالة ، وفيم يكون الظلم ، وفي اي شيء يختلفان وايهما يجلب السعادة لمن يملكه سواء كانت الآلهة أو الناس .

من الواضح ان الدولة التي اقامها سقراط تتصف بانها حكيمة ، شجاعة ، عادلة . فالحكمة هي معرفة يختص بها جماعة من المواطنين لا تتعلق بموضوع معين وانما بالدولة ذاتها ، تنتظم على خير وجه ممكن شؤونها الداخلية وعلاقاتها ببقية الدول ، هي المعرفة المتعلقة برعاية الدولة وحراستها وتتمثل لدى الحكام الذين اسميناهم حراسا ، والصفة التي تكتسبها الدولة من هذه المعرفة هي السداد في النصح والحكمة (٣٢) .

والشجاعة صفة اخرى تدين بها الدولة الى فئة منها ، ومعنى اتصاف هذه الفئة بالشجاعة ان هو لديها دائما القدرة على معرفة الامور التي ينبغي ان يخشى منها حقا ، وهي قدرة غرسها فيها المشرع بالتربية (٣٣)

---

(٣٠) المصدر السابق : ص٢٣٣

(٣١) المصدر السابق : ص ٢٤٤

(٣٢) المصدر السابق : ص ٣١٦ وما بعدها

(٣٣) المصدر السابق : ص٣١٩

اما الاعتدال فهو انسجام واتفاق بين الفضائل السابقة ، والاعتدال نوع من النظام والتحكم في اللذات والانفعالات ، وكما يقول التعبير الشائع « سيطرة المرء على نفسه » ، ويكون الاعتدال في سيطرة الجزء الافضل على الجزء الاحسن • والاعتدال يظهر اذا ما ساد الوفاق بين الحاكم والمحكوم ، والاعتدال يمتد الى المدينة بأسرها ويبعث الانسجام التام بين المواطنين جميعا •• وهكذا يكون الاعتدال ــ سواء في الدولة او في الفرد ــ انما يكون في ذلك الانسجام والوفاق الطبيعي بين الادنى والاعلى حول مسألة اختيار ما ينبغي ان يحكم منهما [٣٤] •

هذه هي صفات ثلاث رأيناها في الدولة ، فما هي الصفة الاخيرة التي تكتمل بها فضيلة الدولة ؟ •• من الواضح انها العدالة [٣٥] •

ويعترف سقراط بأن العدالة كانت تقف تحت اقدامهم الا انهم لم يروها فيقول « وكأننا شخص يبحث طويلا عن شيء يمسك به في يده فبدلا من ان ننظر اليها توجهنا بانظارنا الى الآفاق البعيدة فلا غرو اذن انها أفلتت من أيدينا •• واننا كنا ندرك العدالة منذ وقت طويل دون ان ندرك اننا انما نتكلم عنها ولكن بمعنى معين »[٣٦] •

ولنفحص الحوار التالي الذي يوصلنا الى العدالة في الدولة :

ــ تلك حقا مقدمة يشق طولها على من نفذ صبره لسماعك •

ــ حسن فلتر ان كنت على حق • اننا حين كنا نضع أسس دولتنا قد أكدنا واجبا عاما وهذا الواجب او شكل معين من اشكاله هو ــ ان لم اكن مخطئا ــ العدالة بعينها • فنحن قد قررنا واكدنا مرارا ان على كل فرد ان يؤدي وظيفة واحدة في المجتمع هي تلك التي وهبته الطبيعة خير قدرة على أدائها •

---

(٣٤) المصدر السابق : ص٣٢٣

(٣٥) المصدر السابق : ص٣٢٣

(٣٦) المصدر السابق : ص ٣٢٣

— لقد قلنا بالفعل .

— وقلنا ان من العدل ان ينصرف المرء الى شؤونه دون ان يتدخل في في شؤون غيره ، وهو امر يقول به كثير من الناس ، وقد قلنا به نحن انفسنا .

— أجل لقد قلنا ذلك حقا .

— فذلك اذن يا صديقي اعني انصراف كل الى ما يعنيه هو ما قد يؤدي بنا الى العدالة اذا اديناه على النحو المنشود . اتعلم الآن علام بنيت رأي هذا ؟

— كلا ، فلتنبئني أنت .

— اعتقد ان الصفة التي تتيح لهذه الفضائل الثلاث التي عرضنا لها اي الاعتدال والشجاعة والحكمة ، ان تحتل مكانها في الدولة وتضمن استمرارها ما دامت قائمة لابد ان تكون هي الصفة الباقية ونحن قد ذكرنا ان الفضيلة المتبقية بعد اهتدائنا الى الثلاث الاخريات هي العدالة .

— أجل ، لا بد ان تكون كذلك .

— ولكن ان كان علينا ان نقرر أي هذه الفضائل تسهم باكبر نصيب في كمال المدينة ان تمثلت فيها ، لكان من الصعب ان نحدد ان كانت تلك هي فضيلة اتفاق رأي الحاكمين والمحكومين، أو تمسك الجنود بالرأي الصحيح عما ينبغي ان يكون موضوعا للخوف وما ينبغي الا يكون موضوعا له ، او فضيلة الفطنة واليقظة لدى الحكام ، او ان اعظم أسباب كمال الدولة هو تلك الفضيلة التي تجعل كلا من الاطفال والنساء والعبيد والاحرار والصناع والحاكمين والمحكومين يؤدي عمله دون ان يتدخل في عمل غيره .

— يقيناً ان تحديد ذلك امر شاق .

— واذن ففي امكاننا على الاقل ان نقول ان القدرة على اداء المهمة التي يفرضها المجتمع على كل فرد تقف في اسهامها في كمال المدينة على قدم المساواة مع الحكمة والاعتدال والشجاعة .

— بالتأكيد .

— أو لا تعترف اذن بأن تلك القوة التي تتبارى مع الباقين في اضفاء الكمال على الدولة هي العدالة ؟ .

— انني لاقر ذلك بلا تردد .

— فلتختبر هذه المسألة من وجهة نظر اخرى ، لنرى ان كنت ستظل متمسكا بهذا الرأي . أليس من مهمة الحكام في المدينة اصدار الحكم في القضايا ؟ .

— بلا شك .

— وما هو المبدأ الذي ينبغي ان يتمسكوا به في احكامهم على الدوام ؟ اليس هو المبدأ القائل بان احدا لا ينبغي ان يعتدى على ما يمتلكه الغير أو يحرم مما يمتلكه هو ؟ .

— لن يكون لهم من هدف سوى هذا .

— لان هذا عدل .

— أجل.

— فهذا اذن سبب اخر يقنعنا بان العدالة انما هي ان يمتلك المرء ما ينتمي فعلا اليه ويؤدي الوظيفة الخاصة به .

— تماما .

— ولكن الا توافقني على انه ليس من الخطر الوبيل على الدولة ان يتبادل النجار والحذاء حرفتيهما ، أو ان يتبادلا ادواتهما واجورهما او أن يصر شخص واحد على القيام بالحرفتين معا فيتبادل الناس على هذا النحو كل الحرف ؟ .

ـ لا ارى في ذلك خطرا كبيرا .

ـ ولكني اعتقد ان الصانع او اي شخص اخر ممن اهلته الطبيعة لحياة الصنعة اذا خضع لاغراء المال او الاعوان او القوة او اي نفع اخر فقرر ان ينضم الى صفوف المحاربين او ان المحارب اذا قرر ان ينضم الى صفوف الهيأة المفكرة التي ترعى شؤون الدولة على الرغم من عجزه عن ذلك ، واذا تبادل كل هؤلاء مع اولئك ادواتهم ومراكزهم ، او اذا ما أخذ شخص واحد على عاتقه ان يتولى هذه المهام كلها معاً فأظن انك تتفق معي على ان هذا التبادل والخلط وبال على الدولة .

ـ يقينا .

ـ وعلى ذلك فالتعدي على وظائف الغير ، والخلط بين الطبقات الثلاث يجر على الدولة اوخم العواقب بحيث ان المرء لا يعدو الصواب اذا عد ذلك جريمة .

ـ بالتأكيد .

ـ ولكن الا تسمي أكبر الجرائم التي ترتكب في حق الدولة ظلما ؟ .

ـ لن نجد لها اسما اخر .

ـ فهذا اذن هو الظلم . أما اذا اقتصرت كل من الطوائف الثلاث : الصناع والمحاربين والحكام على مجالها الخاص ، وتولت كل منها العمل الذي يلائمها في الدولة فهذا عكس ما قلناه الان ، اي هو العدل وهو ما يجعل الدولة عادلة (٣٧) .

العلم

تطالعنا ثلاثة تعريفات للعلم على لسان ثياتيتوس في المحاورة التي تحمل اسمه هي :

١ ـ العلم ليس شيئا اخر سوى الاحساس (٣٨) .

---

(٣٧) المصدر السابق : ص ٣٢٤ وما بعدها .

(٣٨) ثياتيتوس : ترجمة اميره حلمى مطر ، ص ٤٦ ، القاهرة ، ١٩٧٣ .

٢ ــ الرأي الصحيح يكاد يكون هو العلم [٣٩] .

٣ ــ ان العلم هو الرأي الصحيح يؤيده البرهان ، وان الرأي غير المعلل هو خارج نطاق العلم ، وان القضايا التي لا برهان ولا تعليل لها ليست بعلمية ، والقضايا المشفوعة بالبرهان والتعليل علمية[٤٠] .

بدأ سقراط المحاورة بالمقارنة بين الحكمة والعلم قائلا : « ان الحكمة لا تختلف عن العلم وانما العلم والحكمة شيء واحد [٤١] ، ومنتقلا الى تساؤله : فيم يتلخص العلم ؟! .

هنا يبدأ الحوار بشكل جدي فيعطي ثياتيتوس انواعا للعلوم والحرف يتبعها بالكلام عن المربع والمستطيل والجذور التربيعية حتى اذا وجد نفسه عاجزا عن تعريف العلم عرفه بانه ليس شيئا اخر سوى الاحساس .

عند ذلك يسأله سقراط : « اليس هذا كلام بروتاغوراس الذي يقول « ان الانسان مقياس كل شيء ، فهو مقياس وجود الموجود منها ومقياس لا وجود غير الموجود منها » ويعترض على هذا القول ، وفي اعتراضه هذا موقف ضد المعرفة التي تعتمد على الادراك الحسي . ويحار سقراط في قول بروتاغوراس هذا ويستغرب « لماذا لم يقل ان مقياس كل شيء هو الخنزير أو البقر .. الا تظن يا ثياتيتوس ان بروتاغوراس لا يقدم هنا شيئا سوى خداع للعامة اذ لا يمكن ان نفند انسانا اذا كان من المستحيل ان يخطيء الانسان » [٤٢] .

---

(٣٩) ثياتيتوس : ترجمة فؤاد جرجي بربارة ، ص ١٩٣ ، دمشق ١٩٧١ .

(٤٠) ثياتيتوس : ترجمة فؤاد جرجي ، ص ٢٣١ دمشق ١٩٧١ .
سيكون استعمالي عبارة « الرأي الصادق » في ترجمة بربارة بدلا من الظن الصادق في ترجمة اميره حلمي مطر .

(٤١) ثياتيتوس : ترجمة اميره حلمي مطر ، ص٣٢ ، القاهرة ١٩٧٣ .

(٤٢) ثياتيتوس : اميره ، ص٦٥

ثم ينتقل الى آراء هرقليطس وهوميروس في التغير عارضا اياها بقول هوميروس : « ان المحيط هو منشيء الآلهة وان امهم تيتس فانما يعني ان كل الاشياء ناتجة عن السيلان وعن حركة التغير » (٤٣) .

وغاية سقراط في هذه المحاورة التأكيد على استحالة كون العلم والاحساس شيئا واحدا ، بل القول بانهما مختلفان ، ولكنه لا يصل الى نتيجة لذلك . وفي هذا القول تعديل للتعريف الاول أو نقض له(٤٤) .

وبعد حوار يسلك سقراط نهجا جديدا في معالجة الموضوع اذ انه يضع نفسه في موقف الدفاع عن فكرة بروتاغوراس هذه ثم يفندها ليثبت عدم صلاحيتها .

« وهاك اخطر ما في الموضوع ان بروتاغوراس حين يسلم بان رأي كل انسان صادق ، لابد اذن ان يعترف بأن رأي معارضيه الذين يعتقدون بأن آراءه مخطئة هو رأي صحيح ، اذن فانه سوف يسلم بأن رايه خطأ ما دام قد اعترف بصدق رأي من يعتبرونه مخطئا ، فمن كل جهة سوف توجد معارضة لرأي بروتاغوراس بل انه هو نفسه سوف يسلم بانه لا يوجد كلب ما او عابر سبيل ليس مقياسا لاي شيء لم يعلمه اليس هذا صحيحا ؟ ما دام الامر كذلك فالحقيقة التي يدعيها بروتاغوراس لن تكون صحيحة في رأي أي شخص ولا عنده هو نفسه »(٤٥) .

ثم يأخذ فكرة التغير والنسبة والحركة في اقوال هرقليطس ليفندها : «هاك الصورة التي توصلنا اليها وهي تتلخص في قولنا اذا تحرك كل شيء فان اية اجابة نقدمها لاي موضوع ستكون صحيحة فالقول بانها كذلك او انها ليست كذلك يتساويان ، او اذا اردت ان تتجنب اضفاء صفة الثبات على كلامنا نقول لن تصير كذلك .. كذلك ترانا بعد ان انتهينا من موافقته

---

(٤٣) ثياتيتوس : اميره ، ص٤٨

(٤٤) ثياتيتوس : ترجمة أميره حلمي مطر ، ص٨١ ، القاهرة ١٩٧٣ .

(٤٥) ثياتيتوس : ترجمة أميره حلمي مطر ، ص ٨٢ ـ ٨٣ ، القاهرة ١٩٧٣ .

على ان الانسان مقياس كل شيء بشرط ان يكون انسانا ذا فكر لن نسلم له بان العلم هو الاحساس على الاقل طالما التزمنا بالمبدأ القائل ان كل شيء يتحرك»[٤٦] .

فالعلم لا يقوم على الاحساسات بل يستند الى تعقل الاحساسات اذ به يمكن ان نصل الى الوجود والى الحقيقة لكن بغيره لا يمكن »[٤٧] .

فاذا نسب الاحساس لاي شخص فلا يعني هذا انه يدرك الحقيقة اذ لا يصل الاحساس الى الوجود ولا يبلغ بالتالي العلم .

س ـ لكن هل كان الموضوع لحوارنا هو ان نعلم ما لا يكون علما ام ان نعرف ما هو العلم ؟ ومع ذلك فقد حققنا تقدما واضحا وجديا حين تبينا الا نبحث في الاحساس بل في ذلك الفعل الذي تقوم به النفس عندما تعكف على ذاتها حين تأخذ في دراسة الموجودات أيا كان الاسم الذي نطلقه على هذه العملية .

ثيا ـ أظن ان اسم هذا الفعل يا سقراط هو الحكم .

س ـ انك لعلى حق فيما تظن يا صديقي ، ولتنظر الان من جديد في المشكلة لتلغ كل ما سبق لنا قوله وحاول ان ترى بوضوح ابتداء من النقطة التي توصلت اليها لتذكر لي مرة اخرى ما هو العلم [٤٨] .

ثيا ـ ان الرأي الصادق يكاد يكون العلم . فليحسب هذا جوابي ، وان بدا غير ذلك عندما تتقدم في درس القضية كما حصل لنا الآن فعندئذ سنحاول ان نقول قولا اخر [٤٩] .

---

(٤٦) ثياتيتوس : ترجمة اميره حلمي مطر ، ص ١٠٣ ، القاهرة ١٩٧٣ .
(٤٧) ثياتيتوس : ترجمة أميره حلمي مطر ، ص ١١٠ ، القاهرة ١٩٧٣ .
(٤٨) ثياتيتوس : ترجمة أميره حلمي مطر ، ص ١١١ ، القاهرة ١٩٧٣ .
(٤٩) ثياتيتوس : ترجمة فؤاد جرجي بربارة ، ص١٩٣ ، دمشق ١٩٧١ .

وهذا هو التعريف الثاني للعلم .

ويجري حوار بين سقراط وثياتيتوس حول الرأي الصحيح والرأي الخاطيء ويتشعب في موضوعات متعددة كموضوع المعرفة وعدمها ، وموضوع الوجود واللاوجود ، والعلم واللاعلم حتى يصل الى التفكير فيعرفه بانه : « حوار توجهه النفس لذاتها طوال بحثها في الاشياء التي تبحثها..أتصور ان النفس عند قيامها بعملية التفكير فانها لا تغفل شيئا اخر سوى ان توجه لذاتها حوارا على شكل اسئلة تجيب عليها تارة بالايجاب وتارة بالنفي وعندما تصل الى قرار سواء بسرعة أو ببطء فانها تتأكد منه ولا تعود تشك فيه وهذا هو ما نسميه بالحكم ... والحكم تعبير صامت لا للغير بل للذات »(٥٠) .

كما يعرف الرأي الصادق بقوله :

« اذا كنت تعرف احدا من الناس وتحس به احساسا مباشرا وكانت المعرفة به مطابقة لهذا الاحساس فلن يحدث ان تخلط بين هذا الشخص وأي شخص اخر تعرفه ولديك عنه احساس مباشر طالما كانت معرفتك به مطابقة للاحساس المباشر به »(٥١) .

اما الرأي الخاطيء فيقول عنه :

« وتبقى الحالة التي كانت موضع بحثي والتي يقع فيها الرأي الخاطيء الصادق لان ابداء الحقيقة في الرأي هو من بعض الوجوه عصمة عن الخطأ وما ينجم عنه هو بجملته بهاء وخير (٥٢) . ثم يقول ان كلا من العلم والراي الصحيح على ما يبدو مختلف »(٥٣) .

---

(٥٠) ثياتيتوس : ترجمة اميره خلمي ، ص ١٢٠ ، القاهرة ١٩٧٣ .

(٥١) ثياتيتوس : ترجمة اميره حلمي مطر ، ص١٢٨ ، القاهرة ١٩٧٣ .

(٥٢) ثياتيتوس : ترجمة فؤاد جرجي بربارة ، ص ٢٢٦ ، دمشق ١٩٧١

(٥٣) المصدر السابق ، ص ٢٢٧

وهكذا يوضع التعريف الثالث والاخير بالصيغة التالية :

« ان العلم هو الرأي الصحيح يؤيده البرهان ، وان الرأي الذي لايؤيده البرهان هو خارج نطاق العلم ، وان القضايا التي لا برهان ولا تعليل لها ليست بعلمية ، والقضايا المشفوعة بالبرهان والتعليل علمية » (٥٤) .

ثم يتناول سقراط الحديث عن العناصر الاولية والمركبات والحروف والمقاطع وايهما قابل للتفسير واخيرا يحدد معنى للبرهان يتلخص في :

١ ــ التعبير الشفهي الواضح عن الفكر بالاصوات المركبة من افعال واسماء بحيث يعكس هذا الارساء الصوتي الفكر كما لو كان صورة منعكسة له في مرآة او على صفحة الماء .

٢ ــ البرهان حصر للعناصر .

٣ ــ والمعنى الذي يعرفه به عامة الناس يتلخص في وجود خاصة تميز موضوع البحث من سائر الاشياء الاخرى (٥٥) .

« فباضافة الخاصة المميزة التي تميز الموضوع عن غيره الى الرأي الصحيح فانك تحول الاعتقاد الذي كان لديك الى علم .. لكن الواقع يا ثياتيتوس اني احس باحساس من اقترب من لوحة ــ ذات منظور معين ــ فعندما انظر عن قرب الى هذه العبارة فاني لا اجد فيها أي معنى في حين انها كانت تبدو لي ذات معنى طالما بقيت انظر اليها وانا على مسافة معينة منها »(٥٦) .

« ماذا تعني اضافة البرهان الى الرأي الصحيح سوى اضافة الصفة التي يختلف بها شيء ما عن غيره وهكذا يصبح الوصف خاليا من أي معنى .وهكذا يظل التفسير يدور في دائرة مفرغة وبهذا يستحق ان تسميه توجيها اعمى اذ انه

---

(٥٤) المصدر السابق ص٢٣١ .

(٥٥) ثياتيتوس : ترجمة اميره حلمي مطر ، ص١٦١ ، القاهرة ١٩٧٣

(٥٦) المصدر السابق ، ص ١٦٣ .

يطالبنا باضافة اشياء سبق وجودهـا عندنا لكي نعرف اشياء تشـغل وذلك بالطريقة الآتية :

أن تعرف الواحد والاخر وترى الواحد والاخر ايضا او تحس بهما بأي احساس اخر ولكن لا تنطبق الاحساسات الخاصة بهما مع الآثار الخـاصة بكل منهما فتكون مثل رام بالقوس يصوب في اتجاه مخالف فيخطىء الهدف ولا يصيبه وهذا هو الخطأ » (٥٧) .

وبعد جدال يقول سقراط : « ينبغي علينا ان نفسر الرأي الخاطيء بطريقة اخرى غير انحراف الفكر مع الاحساس ، اذ لو كان الامر يقتصر على هـذا فسوف يستحيل علينا ان نخطيء في الافكار الخاصة . والخلاصـة علينا ان نختار بين الفرضين اما انه لا يوجد رأي خاطيء على الاطلاق او انه يمكن الا نعرف ما نعرفه »(٥٨) .

وبعد ذلك يعود مرة اخرى الى السؤال الذي افتتح به المحاورة وهـو « ما هو العلم » ؟

فيعترف سـقراط بان كل النقاش الذي تم لمعرفـة معنى العلم كان بين اشخاص لا يعرفون ما هو العلم .. أليس غريبا الا نكون عارفين ثم نأخذ في تفسير ما هي المعرفة(٥٩) ؟

ثم يعطي تعريفا للمعرفة بانها اقتناء العلم ويقوم بتغيير طفيف ويقول انها ظاهرة امتـلاك العلم . ويوضح الفرق بين الامتلاك والاقتناء بمثال « برج الحمام » .

ويقول سقراط « ها نحن الآن بعد طواف طويل وقعنا في نفس الحيرة التي كنا عليها في البداية ولسوف يسخر ناقدنا بقوله : أمن الممكن ايها القوم الممتازون ان يعرف الانسان علما وجهالة معا ، وان يظن الواحـدة منهمـا

---

(٥٧) ثياتيتوس : ترجمة أميره حلمي مطر ، ص ١٢٩ ، القاهرة ١٩٧٣ .
(٥٨) ثياتيتوس : ترجمة أميره حلمي مطر ، ص١٣٣ ، القاهرة ١٩٧٣ .
(٥٩) ثياتيتوس : ترجمة أميره حلمي مطر ، ص ١٣٤ ، القاهرة ١٩٧٣ .

الاخرى ؟ او انه لا يعرف الواحدة ولا الاخرى ... الخ ثم يعقب : انكم لتتركون انفسكم عرضة للرجوع الى نفس النقطة بواسطة آلاف الدورات بغير ان تتقدموا خطوة »(٦٠) .

وبعد نقاش يعود ليقول مرة اخرى : لنذكر بأية طريقة يمكننا تعريف العلم على أحسن وجه وبغير ان نقع في تناقض مع انفسنا .

فيضع ثياتيتوس تعريفا جديدا قائلا : ان العلم هو الرأي الصحيح المصحوب بالبرهان .

وينتهي سقراط الى القول .. كذلك يا ثياتيتوس لن يكون العلم احساسا ولا رأيا صحيحا ولا برهانا منطقيا يضاف الى هذا الرأي الصحيح .. فهل انتهى فننا في التوليد سدى ولم يأت بنتيجة تستحق التقدير ؟ .

ثياتيتوس : هذا مؤكدا (٦١) .

الحب

كان الحب المثلي شائعا بين ابناء اسبرطة واثينا ويتمثل هذا الحب بنوع من الصداقة الروحية البعيدة عن الرغبة الجنسية ، ويتمثل ايضا بنوع من التفاهم والانسجام الفكري ينشأ بين شخصين من جنس واحد . يضاف الى ذلك ان محاورة المأدبة تؤكد ناحية اخرى هي الاتحاد بالجمال وتأمل المثل،اذ توصل افلاطون الى هذا الاتحاد باجتياز عدة مستويات ينكشف بعدها الجمال بالذات بوعي حدسي ، كما استخدم طريقا عقليا ـ في الجمهورية ـ للوصول الى عالم المثل .. ففيلسوف الجمهورية هو ذاته محب في المأدبة .

تعطي مأدبة افلاطون صورة واضحة لانواع من الحب سائدة في ذلك العصر على لسان كل من فيدروس ، بوزنياس ، اريكسماخوس ، ارستوفانز واجاثون . ويمكننا القول بان هذه المحاور هيأت مجالا فكريا لمناقشة الاراء المختلفة في الحب .

---

(٦٠) المصدر السابق ص ١٤١ .

(٦١) ثياتيتوس : ترجمة اميره حلمي مطر ، ص ١٦٤ وما بعدها ، القاهرة ١٩٧٣

اتخذ افلاطون لنفسه اسلوبين في تعريف الحب : الاول اسلوب الحوار والمناقشة الذي يعتمد على العقل ،والثاني اسلوب الاسطورة الذي يعتمد على الحدس • واذا ما حاولنا ان ندخل في صميم المحاورة حيث يدور حوار بين افلاطون واجاثون امكننا ان نستخلص تعريفات للحب على الوجه الاتي :

١ ــ الحب معناه حب شيء ما •

٢ ــ الحب يريد الشيء الذي يحبه •

٣ ــ الحب يريد الشيء الذي يحبه في حالة فقده اياه •

٤ ــ ان المرء يحب ما ليس في امكانه ولا يملكه ، اى استمرار ما يملك المرء في الحاضر الى المستقبل •

وبعد ذلك يقول لاجاثون : « لو فكرت قليلا لدفعت الشك باليقين وقلت : يرغب المرء فيما لا يملك ولا يرغب فيما ليس في حاجة اليه • ثم يستمر قائلا : « هيا اذن نجمل ما اتفقنا عليه » :

١ ــ يوجد الحب مضافا الى شيء معين •

٢ ــ هذا الشيء ينقص المرء في الوقت الذي يحتاجه •

وهنا يدخل سقراط عنصرا جديدا هو الجمال عندما يقول : « زوال متاعب الالهة بفضل حب الجمال اذ لا يوجد حب القبح[٦٢] •

وفيما يلي انموذج للحوار الذي ابتدعه افلاطون لمناقشة موضوع الحب:

ــ الحب هو حب الجمال لا حب القبح •

ــ أوافقك على هذا •

ــ ولقد اتفقنا ان الحب يحب ما ينقصه وما لا يملكه •

ــ أجل •

ــ فالحب اذن لا يملك الجمال •

ــ لابد من ذلك •

---

(٦٢) المأدبة : افلاطون ترجمة وليم الميري ، ص ٢٥ وما بعدها ، دار المعارف بمصر ١٩٧٠

ـ هل يمكن القول ان ما لا يملك الجمال جميل ؟

ـ كلا ، من غير شك .

ـ أذن ألا تزال تقول ان الحب جميل ؟

ـ يبدو لي يا سقراط اني لم اكن اعي ما اقول .

ـ ومع ذلك فحديثك رائع من غير شك ، بقيت نقطة واحدة الا ترى ان ما هو خير هو بعينه ما هو جميل .

ـ بلى .

ـ اذا كان الحب ليس بجميل وما هو خير هو جميل ، أفلا ترى ان الحب ينقصه الخير أيضا ؟

ـ لا سبيل الى معارضتك ، هو كما ذكرت[٢٣] .

الحب ليس جميلا وليس خيرا .. عند هذه النقطة ينتهي الحوار او المناقشة العقلية . اما الجانب الثاني الذي يعتمد على الاسطورة فهو طريق ديوتيما التي لقنت سقراط الحب والهمته الحديث عنه ، وعن هذا الطريق ستوضح الرابطة التي تربط العالم الحسي بالعالم العقلي اذ سيتخذ الحب جسرا يعبر المرء بواسطته من هذا العالم الى عالم الحقيقة حيث الجمال المطلق .

ويحاول سقراط في مستهل حديثه ان يعيد القول بان على المرء ان يبين طبيعة الحب الحقيقية وخصائصه قبل وصف آثاره . يبدأ حديثه عن الحب نقلا عن امرأة تدعى ديوتيما لقنته معنى الحب حيث تقول : « ان الحب ليس جميلا ولا خيرا كما انه ليس قبيحا ولا شريرا ولكنه بين بين ..وهو ليس باله لان الاله سعيد وجميل ـ وأقصد بالسعادة ان يكون متمتعا بالخير والجمال ... بينما الحب ينقصه الخير والجمال وهو بين الكائن الفاني والموجود الازلي .. انه روح عظيم ، نصفه اله ونصفه انسان ، هو رسول الالهة الى الناس ومبعوث الناس الى الالهة .. حمل به في مولد افروديت فتولد فيه

---

(٦٣) المصدر السابق : ص٥٨

شوق عارم للجمال ولجمال افروديت خاصة ، والحب لا هو غني ولا هو فقير ولا هو جاهل ولا هو حكيم .. الحكمة شيء جميل .. والحب هو حب الجميل .. فالحب اذن هو حب الحكمة ومن ثم فهو وسط بين الحكمة والجهل .. وهذا يا عزيزي سقراط كل ما يمكن ان يقال عن طبيعة الروح»(٦٤) .

وتقول لسقراط : انك توحد بين الحب والمحبوب ولا توحد بين الحب والمحب ، ومن اجل هذا ذهبت الى ان الحب جميل بل رائع الجمال ، فالمحبوب هو الذي يوصف بالجمال والرقة ايضا وهو الجدير بالسعادة ، ولكن المحب يختلف عما وصفت(٦٥) .

ماذا يؤدي الحب للناس ؟ . تجيب ديوتيما : « الحب هو حب الجمال تبعا لمولده ووفقا لطبيعته » . ولكن مم يتألف هذا الجمال او بعبارة اخرى ما غاية الحب الذي يشعر به محب الجمال ؟ غايته امتلاك الاشياء الجميلة وبم ينتفع من يمتلك الجمال ؟ .. فتغير ديوتيما الالفاظ وتجعل الخير محل الجمال فيصبح السؤال على الشكل التالي : ما غاية الحب الذي يحس به محب الخير ؟ يجيب سقراط على الفور : الحصول على الخير . وما الذي يحققه من يحصل على الخير لنفسه ؟ الجواب سيكون سعيدا . فتقول ديوتيما : حق لان السعادة هي في امتلاك الخير (٦٦) .

ولكن هل جميع الناس يرغبون في امتلاك الخير ؟ .. او ان هذا الحب وتلك الرغبة يشترك فيها الناس جميعا ؟ . أسئلة يطرحها سقراط ويريد جوابا شافيا من ديوتيما .. فترد عليه قائلة : اذا كان الامر كما تقول يا سقراط ، اذن لماذا نجد بعضهم يحب وبعضهم لا يحب ؟ . ان الحب يخص جنسا اعم واشمل بينما نحن نقتطع نوعا من الحب ونطلق عليه اسم الحب ، فالجنس ينسحب

---

(٦٤) المأدبة : أفلاطون ترجمة وليم الميري ص ٥٩ وما بعدها ، دار المعارف بمصر ، ١٩٧٠ .

(٦٥) المصدر السابق ص٦٢

(٦٦) المصدر السابق ص ٦٢

على كل رغبة في الخير وفي السعادة وذلك هو حقيقة الحب القوي الغلاب، ولكن تلك الرغبة تعبر عن نفسها بوسائل مختلفة، فعند بعض الناس حب المال، وعند البعض الاخر حب القوة البدنية وعند فريق ثالث حب الحكمة .. ولكن لا أسمي هؤلاء محبين .. ولا اسمي هذا حبا الا اذا كان الشطر الثاني المنشود هو الخير، فليس الحب هو حب النصف او حب الكل، والحقيقة ان الناس لا يميلون الى ما يخصهم وينسب اليهم مالم يعتبروه خيرا فالحب اجمالا هو الرغبة في الامتلاك الدائم للخير (٦٧).

ان غاية الحب ليست كما تظن يا سقراط ... هكذا تقول ديوتيما ـ اذ ان غايته الحمل والولادة في الجمال .. والولادة الجسدية ادنى في مراتب الحب، والولادة بالروح هي ارقى مراتبه .. والولادة اقرب الامور الى الخلود اذ هي احلال فرد مولود محل فرد ميت ـ الذي في امكان الكائن الفاني ان يظفر به، ولما كان الحب هو الامتلاك الدائم للخير فلابد انه يرغب في الخلود رغبته في الخير .. ويلزم من هذا ان الحب هو حب الخلود كما هو حب الخير (٦٨).

هذه هي يا سقراط اسرار الحب ويمكنك الدخول فيها، ولا ادري هل في امكانك ان تتقدم الى ما يعلوها من اسرار اذا ما اهتديت بروح صادق ؟ (٦٩).

والطريق القويم في الاقتراب من اسرار الحب والدخول فيها يبدأ المرء بنماذج الجمال في هذا العالم، فيجعلها درجات يرقى بها جاعلا غايته ذلك الجمال الاسمى المطلق .. من نموذج للجمال الحسي الى نموذجين ومن نموذجين الى الجمال ككل، ومن الجمال الحسي الى الجمال الخلقي، ومن

---

(٦٧) المأدبة ـ أفلاطون، ترجمة وليم الميري، ص ٦٣ وما بعدها، دار المعارف بمصر، ١٩٧٠.

(٦٨) المصدر السابق ص ٦٥

(٦٩) المصدر السابق ص ٦٨

الجمال الخلقي الى جمال المعرفة ومن المعرفة بفروعها المختلفة الى المعرفة المطلقة التي يكون موضوعها الوحيد الجمال المطلق فيعرف اخر الامر ماهية الجمال المطلق[٧٠] .

« من يصل الى هنا يستطيع ان يدرك الجمال الالهي حيث يوجد بمعزل عن كل شيء .. الا ترى انه في ذلك المكان وحده الذي يرى الجمال المطلق بالملكة التي يمكن رؤيته بها ، ألا ترى انه يستطيع الاتيان ليس فقط بصور منعكسة للخير بل بالخير الحقيقي لانه لا يتصل بظل الحقيقة ولكن بالحقيقة ذاتها ؟ واذ ما جاء بالخير ورباه اصبح أهلا لحب الله ويتحقق له الخلود ان كان من الممكن ان يظفر آدمي بالخلود »[٧١] .

---

(٧٠) المصدر السابق ص ٧٠

(٧١) المصدر السابق ص٧٠

المصادر

١ ـ افلاطون : جمهورية افلاطون ، ترجمة فؤاد زكريا ، القاهرة ، ١٩٧٤

٢ ـ افلاطون : ثياتيتوس او العلم ، ترجمة اميرة حلمي مطر ، القاهرة ، ١٩٧٣

٣ ـ افلاطون : الثئيتتس ، ترجمة فؤاد جرجي بربارة ، دمشق ١٩٧١

٤ ـ افلاطون : المأدبة فلسفة الحب ، ترجمة وليم الميري ، القاهرة ، ١٩٧٠

٥ ـ الكسندر كواريه : مدخل لقراءة افلاطون ، ترجمة عبدالمجيد ابو النجا ، القاهرة ١٩٦٦

٦ ـ اميره حلمي مطر : الفلسفة عند اليونان ، القاهرة ، ١٩٧٤

٧ ـ احمد فؤاد الاهواني : افلاطون ، القاهرة ، ١٩٧١

٨ ـ البير ريفو : الفلسفة اليونانية ، ترجمة عبدالحليم محمود ، القاهرة ١٩٥٨ .

٩ ـ برتراندرسل تاريخ الفلسفة الغربية ، ترجمة زكي نجيب محمود ، القاهرة ١٩٦٧ .

١٠ ـ جورج سباين : تطور الفكر السياسي ، ترجمة حسن جلال العروسي ، القاهرة ١٩٦٣ .

١١ ـ جورج سارتون : تاريخ العلم ، ترجمة توفيق الطويل مع مجموعة من الاساتذة ، القاهرة ، ١٩٧٠ .

١٢ ـ فؤاد زكريا : دراسة لجمهورية افلاطون ، القاهرة ، ١٩٦٧